الخلق الجديد (غل ٦:١٥)

أ. نجيب ابراهيم

«فما الختان بشيء ولا القلف بشيء، الشيء هو الخلق الجديد» (غل ٦: ١٥). يختم بولس رسالته الى أهل غلاطية مؤكدا على ما قدمه في الرسالة عن الانجيل الذي يبشر به. رغم أن هذه العبارة، «الخلق الجديد» لا ترد في بحر الرسالة، إلا أنّها تعبّر بإيجاز وبطريقة جديدة عما قاله سابقا.

تبدأ الخاتمة في ٦: ١١[1] حيث يؤكد القديس بولس على الكتابة بخطّ يده وبأحرف كبيرة، ذلك لأنّه مزمع على إظهار جوهر رسالته بكلمات وجيزة وجديدة. إذا يرتبط موضوع الخلق الجديد بما قاله بولس في الرسالة. ولكن لهذه العبارة معنى متعارف عليه في العهد القديم وفي الادب اليهودي المعاصر للعهد الجديد. بالطبع كان بولس يعرف وقع هذه الكلمات على سامعيه إن كانوا من اليهود أو المتهودين.

لذا نتساءل هل اقتبس العبارة بنفس المعنى وأعطاها البعد المسيحي، أو أنّه ابتكر لها معنى جديدا لا يجد في لغة عصره ما يوازيه؟ لذلك وجب علينا ان نتتبع اولا الموضوع في العهد القديم والادب اليهودي[2]، ومن ثم نحاول أن نفهم العلاقة بين هذه العبارة وسائر الرسالة.

١- الخلق الجديد في العهد القديم والادب اليهودي القديم[3]

له معنى شامل يخص الكون، كما يمكن ان يعني فقط الانسان. تجد هذه العبارة جذورها في أشعيا الثاني والثالث بنوع خاص: ٤٣: ١٨-١٩؛ ٥١: ٦؛ ٦٥: ١٧: «لأنّي هكذا أخلق سموات جديدة وأرضا جديدة فلا يُذكر الماضي ولا يخطر على البال». أشعيا يصوّر نهاية السبيّ خروجا جديدا ويتكلّم على الخلق الجديد تحت علامة الأزمنة الأخيرة[4].

أمّا في الأدب اليهودي، الخلق الجديد هو المهتدي الى الدين اليهودي، وكأنه بدخوله الى الجماعة أصبحت حياته جديدة، وما هو من الماضي الوثني لم يعد له وجود. ولكن يجب ان يُفهم هذا التغيير على الصعيد الشرعي. الخلق الجديد لا يعنى حياة جديدة بل وضعا شرعيا جديدا.

في معرض بحثنا هذا لا بدّ من التنويه على أهمية تأريخ مراجع الادب اليهودي لنتأكّد من تأثيرها على العهد الجديد. وبما يخص موضوعنا نرى ان النصوص المستعملة ترجع الى القرن الثالث، والبحث لا ينتهي هنا لان التقليد الشفهي يمكن ان يكون أقدم بكثير. وما يظهراكثر أهمية وقربا من العهد الجديد هو ما يتعلّق بيوم الغفران ورأس السنة الجديدة. هذا الاحتفال السنوي يبعث على الرجاء بالخلق الجديد وغفران

١- يجمع علماء البيبليا على اعتبار غل ٦: ١١ بداية الخاتمة، لذلك يجب الأخذ بالاعتبار سياق النص من خلال غل ٦: ١١-١٨. بالنسبة إلى بنية النص راجع Buscemi A. M., "Lo sviluppo strutturale e contenutistico in Gal 6,11-18" *LA* (1983), 153-192.

٢- تشدد اللجنة الحبرية للكتاب المقدس على أهمية هذه المقارنة لفهم أسفار العهد الجديد في رسالتها الاخيرة: **الشعب العبراني وكتبه المقدسة في البيليا المسيحية** (٢٠٠١).

٣- Rey, Bernard, *Créés dans le Christ Jésus. La création nouvelle selon Saint Paul* (Lectio Divina 42) Paris 1966, 21-35.

٤- Manns, F., "La théologie de la nouvelle naissance dans la première lettre de Pierre", in *Les enfants de Rébecca*, Paris 2002.

الخطايا من اجل بداية جديدة. ولكن يبقى المعنى كما في الاهتداء على الصعيد الشرعي، لا يعني حياة جديدة وتجددا روحيا بل مجرد نسيان الماضي وكأنه لم يكن وبداية علاقة جديدة مع الله. ماذا يحصل في قلب الانسان؟ كيف يعيش حياته الجديدة؟ ما هي القوة التي تغيّر الامور وتعطي البرّ؟ هل هو الختان واحكام الشريعة؟ وإذا كان بولس قد توقف عند هذا المعنى، فما هو إذا دور الصليب؟

بالطبع، وكما يحدث غالبا في الكتاب المقدس لدينا تشابه باللغة والتعابير، ولكن المعنى يختلف ليوحي الى القارئ جديد عمل الله الذي يفوق تصور البشر في تدبيره الخلاصي الذي تمّ بيسوع المسيح.

٢- المعنى الاجمالي للنص

نبدأ بعرض سياق النص ٦:١١-١٨ لنفهم معنى الخلق الجديد. في الآيات ١٢-١٧ لدينا ملخّص ما ورد في الرسالة ومضمونه هو الشريعة والصليب. بدأ بولس الخاتمة بخط يده وبأحرف كبيرة (غل ٦:١١)، وكأنّي به يريد التنويه على جوهر الرسالة وبالتالي على حقيقة الانجيل الذي صار له خادما ومن أجله يحمل سمات يسوع في جسده.

أ- الشريعة فخر بحسب الجسد (غل ٦: ١٢-١٣)

في آ ١٢ يستعيد بولس الكلام على المتهودين، أي المسيحيين الذين يدعون أهل غلاطية المسيحيين الى الختان، فيقول عنهم: «إنّ أولئك الذين يريدون تبييض وجوههم في الأمور البشرية هم الذين يلزمونكم بالختان، وما ذاك إلاّ ليأمنوا الاضطهاد في سبيل صليب المسيح». تذكرنا هذه الآية في نهاية الرسالة بما ورد في بدايتها عن سلوك بولس الذي لا يتوخّى رضى الناس بل رضى الله ليكون دائما عبدا للمسيح (١/٨). هؤلاء المتهوّدون لا يريدون إرضاء الله من خلال العمل بحسب الشريعة، بل وبكل بساطة يخافون الاضطهاد من أجل المسيح. يسلكون بحسب الجسد، أفكارهم بشرية محض ولا تمتّ الى حقيقة الانجيل بصلة. هؤلاء «يريدون أن تختتنوا ليفاخروا بجسدكم» (٦:١٣). يجعلون من الختان منافسا للمسيح، وبذلك لا يتوخّون سوى المجد من الناس، معرّضين الايمان المسيحي للهدم من الاساس. لأنّه بالصليب وحده ينال المؤمنون بالمسيح الخلاص.

نتساءل عن الاضطهاد الذي يخافونه، ما هو ومن يأتي؟ باستطاعتنا الإجابة من خلال الاضطهاد الذي عانى منه بولس، كما يتبيّن لنا من خلال رسائله. لقد اضطُهد بولس من اليهود (١ تس ٢:١٥). كما كان بوسعه تحاشيه لو بشّر بالختان (غل ٥:١١). أما بولس فلا يبشّر إلاّ بالمسيح الذي خلّصنا بالصليب، لا بل يفتخر بتحمّل الاضطهاد من أجله (راجع ٢ قور ١١:٢٤).

ب- الصليب، جوهر الايمان المسيحي، (غل ٥: ١٤-١٥)

«أما أنا فمعاذ الله أن أفتخر إلا بصليب ربّنا يسوع المسيح! وفيه أصبح العالم مصلوبا عندي، وأصبحت أنا مصلوبا عند العالم». المتكلّم هنا ليس بولس فقط، إنّما كل مسيحي. لنفتخر فقط بصليب ربّنا يسوع المسيح، لأنّه منحنا السير في حياة جديدة، في عالم جديد. يجدر بنا الإشارة على أنّ بولس يستعمل كلمة «صليب» ليعبّر عن سرّ الخلاص بأجمله، أي موت المسيح كما يُفهم من خلال وحي القائم من بين الأموات[٥].

وما العالم الذي صار عندنا مصلوبا سوى ذلك الذي كان مقسوما الى اثنين، الشعب والأمم (راجع غل ٣:٢٨). هذا العالم صُلب بالنسبة إلى بولس. المسيح جاد بنفسه من أجل خطايانا لينقذنا من دنيا الشر هذه (راجع غل ١:٤). وما تركه المؤمن بالمسيح هو عالم القاصرين والعبودية: «وهكذا كان شأننا: فحين كنّا قاصرين، كنّا في حكم أركان العالم عبيدا له. فلمّا تمّ الزمان، أرسل الله ابنه مولودا لامرأة، مولودا في حكم الشريعة، فنحظى بالتّبنّي» (غل ٤:٣-٤). كان للشريعة دور في تاريخ الخلاص، دور المربّي الذي يوصل التلميذ الى المعلّم. جاء المسيح وخلّص البشر بموته على الصليب. على الصليب انتهى العالم القديم. والمسيحي أصبح مصلوبا عند العالم (غل ٦:١٤). تجد هذه العبارة تفسيرها في غل ٣:٢٧-٢٩: «فإنّكم جميعا، وقد اعتمدتم في المسيح، قد لبستم المسيح: فليس هناك يهوديّ ولا يونانيّ، وليس هناك عبد أو حرّ، وليس هناك ذكر وأنثى، لأنّكم جميعا واحدٌ في المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسح فأنتم إذا نسل إبراهيم وأنتم الورثة وفقا للوعد».

٥. Légasse, Simon, *L'épître de Paul aux Galates* (Lectio Divina, Commentaires 9; Paris, 2000) 479.

٣- الخلق الجديد

يستعمل بولس الكلمة اليونانية "كتيسيس" (κτίσις) التي يمكن أن تعني عمل الخلق أو الخليقة نفسها. يجدر الإشارة إلى أن البيبليا تستعمل هذه الكلمة فعلا حصريا لله. بها يعبّر بولس بقفزة نوعية وقوية، مستعيدا ما قاله في الرسالة. بالصليب دخل الله بقوته الخلاّقة في تاريخ البشر (٣:٤-٨؛ ٤:٤-٦)، فأنقذ المؤمنين بالمسيح من دنيا الشّرّ (١:٤)، ليحيوا في «الخلق الجديد»، فيكونوا خليقة جديدة بقوة الروح القدس. رغم أن بولس قد استعمل عبارة معروفة في العالم اليهودي ولها وقعٌ معيّن على قارئيه، أعطى لها معنى جديدا مسيحانيا وأخيريا. بالمسيح بدأ الخلق الجديد، وبه يستطيع الناس أن يحيوا خليقة جديدة، أبناء لله، يرجون تمام البرّ من خلال إيمان يعمل بالمحبّة (٥:٥-٦).

هذا هو الخلق الجديد، الحياة الجديدة بالمسيح. وما الخلاص سوى الايمان به وسلوك سبيل الروح (غل ٥:١٣-٢٦). المعمّد يلبس المسيح، أي انّه يشترك بموته ويصبح العالم القديم مصلوبا عنده ويحيا حياة المسيح، التي تتسم بحرية أبناء الله. المسيحي يلبس المسيح، تصبح حياة المسيح حياته، حتى أنّ بوسع بولس أن يقول: «لأنّي بالشريعة متُّ عن الشريعة لأحيا للّه، وقد صُلبت مع المسيح. فما أنا أحيا بعد ذلك، بل المسيح يحيا فيّ. وإذا كنت أحيا الآن حياة بشرية، فإنّي أحياها في الإيمان بابن الله الذي أحبّني وجاد بنفسه من أجلي» (غل ٢:١٩-٢٠). الحياة الجديدة بالمسيح لا تسمح لانقسامات العالم القديمة أن تستمر في زرع الفرقة بين الناس والاعتداد بالتمايز بين الشعوب. وإذا كان الخلق الجديد عند اليهود يعني حالة شرعية جديدة، فبالنسبة إلى المسيحي كان هذا حياة جديدة بالمسيح، تتطلّب منه الاقتداء به والاتحاد بشخصه، والعمل بحسب إيحاءات روحه. لا يمكن العمل بما يدعو إليه أولئك الذين يريدون «تبييض وجوههم». لأنهّم لا يبغون سوى الهرب من الصليب والاعتماد على اعتبارات اجتماعية تقضي بالعودة الى أعمال الشريعة، وكأنّي بها يجد المرء خلاصا. المسيحي هو خلق جديد بالمسيح، وبه وحده ينال البرّ، وبروحه يحيا ليسلك حسب الروح لا بحسب الجسد، وبه يعني الانسان، كل الانسان الذي يضع نفسه بحالة عداوة مع الله. ومن يسلك درب الروح ينال السّلام والرحمة، هذا ما وعد به الله شعبه عبر تاريخ الخلاص.

قانون الحياة المسيحية هو إذا الايمان بالقوة الخلاّقة لصليب يسوع المسيح الذي يغدق على المؤمنين به هبات الأزمنة الأخيرة، السلام والرحمة (٦:١٦). ليس من تفرقة بعد الآن ولا امتيازات بين البشر لانّ الكل يحتاج الى النعمة والبركة بيسوع المسيح ليصبح واحدا به (راجع ٦:١٧).

خاتمة

قال بولس في الخاتمة بإيجاز فيه إعجاز ما هدف إليه من خلال رسالته. تألّم بولس خائفا على إيمان جماعة غلاطية وهو يتمخّض بهم مرّة أُخرى حتّى يُصوّر فيهم المسيح (راجع ٤:١٩). لا مجازفة بحقيقة الانجيل لإرضاء الناس. يفتخر بولس بصليب ربّنا يسوع المسيح وحده. به الله خلّصنا فخلقنا خلقا جديدا، لا مكان فيه لانقسامات العالم القديم. ما تمّ على الجلجلة يستمرّ في زمن الكنيسة. على عالم الانقسام والخطيئة أن يزول باستمرار فلا يقع من جديد تحت نير عبوديته من صار ابنا لله ليسير في الحريّة باندفاع الروح (٥:١ و١٦).

واليوم تأتي رسالة بولس الى أهل غلاطية لتساعدنا نحن المسيحيين للتمسك وبقوة واقتناع بجوهر الايمان المسيحي. فلا نفتخر إلاّ بصليبه، لنحيا أبناءً لله ونسلك بحسب الروح، من أجل عالم جديد يسوده سلام الله ورحمته.

مراجع:

Buscemi A. M., "Lo sviluppo strutturale e contenutistico in Gal 6,11-18" *LA* (1983) 153-192.

Cothenet, Edouard, L'épître aux Galates (Cahiers Évangile 34; Paris 1980).

Le Scritture Sacre degli Ebrei nella Bibbia Cristiana (Commissione Biblica, Vaticano 2001).

Légasse, Simon, *L'épître de Paul aux Galates* (Lectio Divina; Commentaires 9; Paris, 2000).

Manns, F., "La théologie de la nouvelle naissance dans la première lettre de Pierre", in *Les enfants de Rébecca,* Paris 2002.

Pitta, Antonio, *Disposizione e massaggio della lettera ai Galati. Analisi retorico-letteraria* (Analecta Biblica 131), Roma 1992, 208-209.

Rey, Bernard, *Créés dans le Christ Jésus. La création nouvelle selon Saint Paul* (Lectio Divina 42; Paris 1966) 21-35.